

النشاط الثقافي في العالم

إيطاليا

رسالة من نبيل مهاييني

شعراء المقاومة الفلسطينية

نشرت مجلة « الثورة الفلسطينية » التي تصدر في روما عن « اللجنة الإيطالية لدعم شعب فلسطين » المقال التالي بقلم بيانكا ماريلا سكارشا في عددها الخامس :

ان الكلام عن ثقافة فلسطينية حديثة يعني الاعتراف بكيان فلسطيني بالمعنى القومي الحديث للكلمة ، كيان يعود مولده لعملية اليقظة القومية في مختلف البلاد العربية وذلك داخل تلك الحركة السياسية والثقافية التي نمت خلال القرن الماضي في مناطق الامبراطورية العثمانية الاكثر تقدما ، ومنها مصر بصورة خاصة ، والتي انتشرت بعدها في كافة انحاء المنطقة العربية بعد ان اخذت اسم اليقظة العربية والتي كان اشبينها لا اراديا لها الاستعمار الاوروبي في القرن السابق .

وهكذا فان تحليل الاصول الحديثة للثقافة الفلسطينية لا بد وان يتتبع ولفترة معينة التاريخ العربي الحديث ، اي ومن جهة معينة ، اكتشاف الروح العلمية الاوروبية ، ومن جهة اخرى اكساب اوعى بارث وتقاليد لا تكون صالحة ما لم تات ضمن اشكال جديدة تتلاءم مع تمثيل دقيق لصفات الواقع العربي حتى وان حافظت على بعض طوابعها « المسكونية » - الاسلامية غالب الاحيان - .

ان فيلسوفا عربيا مثل العروى (صاحب « الايديولوجيات العربية الحديثة » الصادر في باريس عام ١٩٦٧) يرى في معرض كلامه عن الادب (لكن يمكننا تطبيق القاعدة على مجالات اخرى في التعبير) ، ان التقدم ، الذي طرحته النزعة الحديثة ودعمته ، يمر في ثلاث مراحل رئيسية :

مرحلة كلاسيكية - جديدة تملأ فيها وسائل التعبير التقليدية بمحتويات حديثة .

مرحلة عاطفية - رومانتيكية دخلت فيها انواع كانت تعتبر حتى ذلك الوقت غير متلائمة مع « العقلية » العربية ، مثل الرواية والمسرحية ، فضلا عما مثلته من محاولات متمثرة سعت لنفسها .

المقتضيات القومية الجديدة ضمن سياق اوروبي ،

ثم مرحلة واقعية ، في النهاية ، طرحت امام المهتمين كشافا لواقعهم الخاص ، واقع لا يثير الحماس بصورة دائمة .

اما اذا اردنا تحويل هذه المراحل وتفسيرها بلغة سياسية ، فسنتمكن من الكلام عن تركز تدريجي للطبقة البرجوازية الصغيرة - العربية ، وريثة تقليد كلاسيكي ناصع ، غير معنادة على قراءة دروسه التاريخية ، اي انها فخورة بماض لا ينتسب اليها ، وان كانت تجعل منه دعامة لمطامحها في ان تقدم وتتهيء نفسها لقيادة العالم العربي ، ولهذا فهي تقبل التسويات الضرورية الواضحة التي لا يمكن الا ان ينظرها الاستعمار الاوروبي .

ويوحى هذا الامر بحدود يقظة ثقافية بعثت من الخارج ، لا تهم الا اقلية لا تملك علاقات عضوية ومتواصلة مع الكتل الشعبية ، غير قادرة على التحرر من الموديلات الغربية ، على استعداد لان تقبل ، غالب الاحيان ، التصير بلغة اجنبية ، سواء لميولها - التي لا

تخلو من الافتنان - في « الانتقائية » او ، وهذا ما يحدث غالباً ، لعدم مقدرتها تحريك ثورة جمالية وثقافية من الداخل ، وايجاد وسيلة تعبيرية جديدة . لكنه ، من ناحية اخرى ، لا يمكن للنقد ان ينهب بعيدا عن الظروف التاريخية والاجتماعية التي تتبع عنها هذه التجارب الثقافية ، وهي ظروف تحول دون اية نتيجة اخرى في حال عدم وجود تغيير عميق في العلاقة بين الاتيليجنسيا المحلية وبين الطبقات الاقل غنى وفي حال عدم وجود وعي لتوازن سياسي متعاقب ، بإمكانه تقديم تلك القيم التي لا يمكن ان تترك الا ما ندر ، حتى في فترة الحدأة العربية المنورة . وهذا لا يعني اننا نريد استبعاد الجانب الايجابي الذي يقدمه على الدوام ، على صعيد معين وعلى مستوى معين ، الصدام بين حضارات مختلفة وانتشار المناخ المرتبط بالليبرالية الثقافية .

على اية حال ، اذا كانت ثقافة فلسطين ، من حيث انها منطقة في العالم الشامي ، تطورت في القرن الماضي على الشكل الذي قدمناه - رغم بعض التأخر في البدء - فان الظروف التاريخية دفعت فيما بعد ، المفكرين الفلسطينيين نحو وعي سريع وضع من السحنة الايديولوجية الحقيقية لمن كان يعرض ويمثل تلك الثقافة ، كما ان تلك الظروف فسحت المجال ، في نهاية الحرب العالمية الاولى ، امام عملية التحقق من ذلك التحول في العلاقات والتوازن ، وهو التحول الوحيد القادر على تقديم محتويات جديدة وحديثة وقومية وشعبية وتقديمية .

ونحن نرى من وجهة نظر معينة ان الطابع الاعظم والاساسي للثقافة الفلسطينية هو من طوابع سياق الثقافة الاسلامية الكبرى ، لكن شاعرا مثل محمود درويش لم يقدم شعره على انه استمرار لادب المهجر في عهد الحملات الصليبية ، رغم انهما يشتركان بمواضيع عدة مثل العودة والارض ، او مفاصلة المبالاة الدينية . ونجد في نفس الطريقة ، ان الواقعية التطبيقية التي تصادف في قصص ما بعد الحرب الثانية ، لا تتقاسم ، ان لم يكن في اشكالها البسيطة والعاطفية ، اي صفة من الصفات مع الموجزات الشيولوجية حول « فضائل القدس » التي نجدتها بصورة مستمرة في تاريخ الادب خلال العهد المتوسطة الاسلامية .

ان تقديم اطار عام للثقافة الفلسطينية المعاصرة ، يعرضنا ، وان كان مجرد اطار تقريبي ، لخطر التباين الناجم عن الوضع المضطرب الذي يعيش فيه الشعب الفلسطيني وعن الشروط القاسية التي يبرز خلالها الكيان الفلسطيني . ومن الواضح انه لا معنى للكلام عن الفنون التشكيلية ، عند الكلام عن الفن ، رغم ان اطارا لمحاولات المقاومة التصويرية قدمه لي أحد الرفاق الفلسطينيين . ومن الأرجح كذلك انه علينا الانتظار بضع سنين قبل ان نرى ترجمات سينمائية لبعض الرسائل التي وجدت لها في المجالات النظرية والسياسية والدراسات الاجتماعية والادبية تعبيراً طلائعياً .

ولهذا يبدو لنا مناسباً ان ينطلق الحديث الثقافي من التعبير الادبي وبصورة خاصة ، من الشعر . والمنفعة لا بد وان تكون مزدوجة: فهناك تغيير في الاعراف الجمالية التقليدية (خاصة العروضية) يعقبه تحويل لفوي نحو المعنى الشعبي - العامي بعض الاحيان - ولم يكن هذا لان الشعر تحمل عبء تليخ بعض المحتويات (وهي قضية معروفة لدى شعوب الثقافة الاسلامية ، حتى وان كانت المحتويات في هذا المثال شعارات تعبر وتبلغ شحنة ثورية لتكون السبب العقائدي للصراع) ، بل لان الشكل تشكل وتوافق بصورة عضوية مع البلاغ

المروض .

ولم يكن محض صدفة ان الأدب ، وبخاصة الشعر ، الفلسطيني أصبح محط دراسة النقد العربي التقدمي ، بل حتى الاكاديمي منه ، ذلك رغم صعوبات تجميع وتنظيم مواد ذلك الأدب المتدفقة باستمرار . ان شعر المقاومة الفلسطينية يقدم ، بتبسيط لا يمكن دوما القبول به ، بانوراما للمواضيع التي تشكلها ، في اماكن اخرى ، المقاومة نفسها رغم اختلاف الثواني الايدولوجية ، ذلك لشابهه تتابع المواضيع التي تنظمها تلك الايدولوجية حول صراعاها ، وتعبير بها عن التزامها وتصوغ اهدافها للمستقبل .

ان الشعراء الفلسطينيين ، كالمقاورة القدامى ، (هذا لنستشهد بـسيمون جارجي ، راجع على وجه الخصوص Orent وخاصة الاعداد XXI ، XVII ينطلقون من وصف روعة ارضهم ، وقد اصبحت بعض الاحيان ، اطار قصصهم الفردية ، ليصلوا (خاصة في الانتاج الذي عقب الـ ٦٧) الى المحتويات السياسية والتوافق التام بين التجربة الفردية والصراع السياسي والعسكري .

ويبدو ان واحدا من اقوى نقاد الشعر الفلسطيني العرب . ا . ياغي (راجع بصورة خاصة

Life of moderne palestinienn literature until the crisis

بيروت ١٩٦٨) يميز بين مرحلة التحويل والوعي التي امتدت حتى عام ١٩٤٠ وبين الفترة التي عقب ذلك التاريخ . لكنني ارى شخصيا ان التفريق يجب ان يجري حول التزام المفكرين في النضال في الاربعينيات والذي بدأ بصورة عملية وفي اعم شكل ممكن منذ الـ ٦٥ وما بعده ، الى ان ظهر بعدته الجديدة الواضحة بعد حرب الستة ايام ، ضمن الفهم الجديد للوسيلة الشعرية على انها وسيلة دعائية ، هذا مما يؤكد على السمة الهائلة للفئات الشعبية التي يتجه اليها .

وانا لا نريد ، ان تقدم هنا بعض النصوص ، الا لتقديم امثلة دون اي طموح نوعي لتقييم الشعر الفلسطيني وشاعريته وعقائديته عبرها ، مبتدئين ، على هذا الشكل ، اول معالجة ومجابهة لثقافة تنمو في الشرق القريب ، على انها الصلة الاكثر ثورية بتركيب الافكار الذي ، وان قبل ببعض الدروس الغربية ، فهو ينظر عبر صيغته الاصلية الى الشرق ، مفهوما على انه الكتل الشعبية التي يعرض عليها مواضيع تاملاته ، وعلى انه واقع « العالم الثالث » الخصوصي . ولنبدا بقصيدة لفدوى طوقان ، نشرت عام ١٩٥٧ . والشاعرة الفلسطينية هي مثل جميع الشعراء الذين سنقدمهم رائدة الشعر ، النسائي في المجال الفلسطيني - الاردني . وقد شرعت باغاني حب عاطفية لتصل الى مواضيع المقاومة الوطنية . اما القصيدة التي تقدمها فهي مرحلة وسط ، اذ ان المخاطب هو رمز الوطن رغم انه محضر في صورة عاطفية . ويتبعها قصيدتان لـ حنا ابو حنا ومعم زعبي ، اللذين يمثلان « الجناح المسيحي » في هذا الانتاج الشعري . مسيحيون هم ، كما ان انتاجهم مستوحى من روح الاخوة المسيحية ، وهذا لا يعنى انه اقل التزاما من انتاج فدوى طوقان في استخدام الرمز ووعي العلو .

اما القصيدة الرابطة فهي انشودة مجهولة المؤلف تستخدمها « الماصفة » ، وهي واحدة ، من اناشيد كثيرة تلحن وتبرز وتستخدم تدريجيا كلمات سر وشعارات للمقاومة .

اما القصائد التي تتلوها فهي اكثر اهمية . فقصيدة محمود درويش تتميز بابعاءاتها الحكيمية ، وهي التي تفترض لقاء ذا مغزى مع جندي عدو وتقوم على خلفية الاشكال الشخصية لهذا الاخير وتمثيل وعي الشاعر الثوري . وصورت الشاعر هو من الاصوات الاكثر ترددا بين الابداء الفلسطينيين .

اما مقطوعة توفيق زياد فتشكل جزءا من قصيدة طويلة عن الناصرة ، وقد استفادت ، حسب ما اورد الشاعر ، من اغنية شعبية قديمة ، وهناك مواضيع حبة حملت من عهد الحرب العالمية الاولى بعد ان اعطيت طابعا شعريا حديثا يؤكد سلك الالم الذي يبدو

انه يميز تاريخ البلاد .

تتبع القصاصد (هي ، هو - فدوى طوقان ، ١٩٥٧ . قصة قرية - حنا ابو حنا ، ١٩٦٠ . اغنية الماصفة - حلم الزنايق البيضاء - محمود درويش ١٩٦٩ - حسانوات الناصرة ، توفيق زياد ١٩٦٩ .

ترجمة نبيل رضا المهاني

*

الاتحاد السوفياتي

رسالة من جليل كمال الدين
حولية التبادل الثقافي السوفياتي العربي

- ١ -

تتسع العلاقات المتبادلة بين الاتحاد السوفياتي والدول والشعوب العربية وتتعاظم باطراد في مختلف الحقول : السياسية ، والعسكرية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتكنيكية والفنية بل وحتى الدينية . فمذ وقت قصير عقد المؤتمر الاسلامي السوفياتي الذي حضره مندوبون من البلدان العربية كان من بينهم شخصيات اسلامية بارزة مثل الدكتور محمد بيبصار الامين العام لمجمع البحوث الاسلامية ج ع م والشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية ، والشيخ طه الصابونجي قاضي الشريعة الاسلامية ، والشيخ عبدالجبار الاعظمي رئيس هيئة دار الثقافة الاسلامية ببغداد ، وعبدالوهاب محمد السماوي نائب وزير العدل في اليمن والشيخ مختار رحمة الله مفتي السودان . وفي طاشقند عاصمة جمهورية اوزبكستان السوفياتية تطاولت اعمال مؤتمر المسلمين السوفيات بين سادس وتاسع اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٠ . وقد عقد المؤتمر تحت شعار ، في سبيل الوحدة والتضامن في النضال من اجل السلام » . وحضره ضيوف من خارج الاتحاد السوفياتي ، مثلوا (٢٤) بلدا . وكان من اهم ما التي في المؤتمر دراسات رصينة لعلماء سوفيات هم في ذات الوقت رجال دين بارزون في اوساط المسلمين السوفيات ، وهي دراسة رئيس الادارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان ، ضياء الدين باباخان ، وكانت تحت عنوان « الوحدة والتعاون في النضال من اجل السلام » ، و « الوحدة والتضامن بين المسلمين في النضال من اجل السلام وضد الامبريالية ، ومن اجل ضمان التقدم الاجتماعي على ضوء تعاليم القرآن الكريم والقوانين الاجتماعية » للشيخ حجة ابراهيموف ، و « النضال ضد العدوان الامبريالي في الشرق العربي وجنوبي شرقي آسيا » للمفتي قربانوف ، و « العناصر الاجتماعية في الاسلام وعصرنا » لامام مسجد موسكو مصطفىين ، وغيرها .

وقد بعث المؤتمر بقرية تزيبة الى ج ع م بمناسبة وفاة الزعيم جمال عبدالناصر . كما اصدر بياناً خاصاً عن فلسطين والشرق الاوسط . وجاء في الوثيقة الرئيسية للمؤتمر « اننا نحن المساهمين في مؤتمر الوحدة والتضامن بين المسلمين في النضال من اجل السلام وضد العدوان الامبريالي نعتقد بانه في الظروف التي يقوم فيها المعتدون الاسرائيليون باعمالهم القاندة الى تسمر الحظر الجدي على السلام والامن الدوليين ، لا يستطيع اي مسلم حشما كان ان يقف موقف اللامبالاة ولا بد ان ترغم الاعمال العاسمة لكل من تعز عليه مثل السلام والحربة والاستقلال المعتدين على الكف عن مواصلة الاتجاه القامر ، واقامة سلام عادل وطيد في هذه المنطقة من الكرة الارضية » .

وقد أكد الدكتور بيبصار ان مسلمي الاتحاد السوفياتي قد قاموا بدور هام في توطيد الصداقة بين الشعوب العربية والسوفياتية ، وانهم بدلوا وبيدلون الجهود الكبيرة من اجل احياء التراث الاسلامي في آسيا الوسطى وهم يحافظون على تقاليدهم ويعتزون بمقدساتهم وتعاليم دينهم . كما أكد الشيخ الصابونجي انه لا سلام مع التمييز العنصري والحقد الديني والقومي الذي تؤمن به الصهيونية . . . وان موقف الاتحاد السوفياتي من القضايا العربية هو موقف معترف به

من قبل العرب جميعا سواء كان ذلك في مجال التسليح ام من حيث الدعم السياسي في كافة الحقول .
ولا بد للمسلمين من البلدان العربية وسواها من لقاء جديد مع المسلمين السوفييات بمناسبة الاحتفالات الوشيككة لمرور ٢٥٠٠ عام على مدينة سمرقند ، الحاضرة الثانية في اوزبكستان السوفياتية .

وقد تركت وفاة عبدالناصر اثرها في الصحافة السوفياتية المركزية وغير المركزية . فقد صدرت كافة الصحف السوفياتية تضم صورة لجمال عبد الناصر في اطار مجل بالاسود ، وكلمات تتحدث عن حياة وانجازات الفقيه العظيم . وكركست صحيفة « ليراتورنايا غازيتا » والجريدة الادبية ، وصحيفة « ليراتورنايا روسيا » (روسيا الادبية) الاسبوعيتين صفحات كاملة للراحل عبدالناصر .
كما ان تفاهم الوضع الملتهم في الشرق الاوسط جراء استفزازات العدو الاميرالي الصهيوني قد دفع بوزارة الخارجية السوفياتية الى اصدار بيان خاص نشرته كافة الصحف السوفياتية . وقد تحدث البيان عن اهداف الحملة الاستعمارية الصهيونية وسبل الافتراءات المقصود منه تحويل الانظار عن ازدياد التسليح الاسرائيلي والتخضير لمؤامرات جديدة . واكد البيان وجهة النظر السوفياتية القائلة بان الاتحاد السوفياتي كان ولا يزال نصيرا ثابتا للتسوية السياسية في الشرق الاوسط على اساس تحقيق قرار مجلس الامن وتنفيذ كافة بثوده . كما ان ذلك قد جرى التأكيد عليه ايضا في البيان المشترك الذي صدر بعد زيارة رئيس فرنسا بومبيدو للاتحاد السوفياتي .

- ٢ -

ومن مظاهر اتساع الاهتمام بالثقافة العربية في الاتحاد السوفياتي الترجمات التي تظهر بين آونة واخرى في الصحافة السوفياتية او في الكتب المستقلة التي تصدر عن دور النشر المختلفة . فمثلا نشرت مجلة « شعوب آسيا وافريقيا » الشهيرة في احد اعدادها الاخيرة اشعارا مترجمة لشعراء عرب مشهورين ، هم على وجه التحديد معين بسيسو (من فلسطين) ، وسعيد عقل (لبنان) وعبد الوهاب البياتي (العراق) . ومترجم اشعار معروف بترجماته الفديدة للشعر العربي الحديث ، وهو ميخائيل كورفانشف . والقائد المترجمه هي (اسكندر المقدوني) لبسيسو و (الفني) لسعيد عقل ، و (امارة بلا اسم) للبياتي .

كما صدرت في كتب مستقلة ترجمات اخرى لهذا المترجم نفسه (كورغانسيف) ، ونشير ، بخاصة ، الى كتاب « الفضب والامل » ، الذي صدر عن مكتبة « آغانووك » (الشعلة - وهي مجلة اسبوعية واسعة الانتشار) ، تحت رقم ٣٠ ، وبعدد نسخ (١٠٠ الف) .

وكانت لوحة الفلاف للفنان العراقي البارز محمود صبري . وقد صدر الكتاب عن دار نشر « البرافدا » . وضم قصائد مترجمة لشعراء من اربعة عشر قطرا عربيا هم (جان سيناك ، وبشير حاج علي ، وبو عالم خلفه ، وكاتب ياسين) من الجزائر ، و (عصام حماد) من الاردن ، و (معروف الرصافي ، ومحمد مهدي الجواهري ، ومحمد صالح بحر العلوم ، وعبد الوهاب البياتي) من العراق ، و (محمد الزبيري) من اليمن ، و (شحادة عبود ، وسعيد عقل) من لبنان ، و (البروسي) من ليبيا ، و (محمد عزيز الحبابي) من المغرب ، و (عبدالرحمن الخميسي) ، وناهض ابو زهره ، ومجاهد عبدالمنعم مجاهد ، ونجيب سرور ، وصلاح جاهين) من ج ع م ، و (معين بسيسو) من فلسطين ، و (احمد عبدالغفور عطار) من العربية السعودية ، و (احمد سليمان الاحمد ، وشوقي بغدادي ، ومحمد سمير مراد) من سوريا ، و (محي الدين فارس ، ومحمد الفيتوري) من السودان ، و عمر السندي (من تونس) ومحمد عقلاقي من (اليمن الجنوبية) .

وكتب مقدمة الكتاب الاكاديمي المشهور ب . غفوروف ، رئيس معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفياتية . وجاء في كلمته

ما يلي : « يعيش الشعر العربي خمسة عشر قرنا . وقد ابدع الكثير من الانار الرائعة ، في هذه القرون ، باللغة العربية . غير ان وارثي هذه الثروة ، معاصرنا - عرب القرن العشرين يرون في شعرهم ليس فقط شاهدا على الثقافة الروحية الرفيعة . انهم يشدون فيه انعكاس طموحات وافكار وآمال اليوم الحاضر .

« ان هذه المساعي قد اولدت الشعر العربي المعاصر ، العبق بروح المواطنة ، والتعطش للحرية ، وحميا الوطنية . والى جانب كل الفروقات في الشخصيات ، فثمة شيء عام مشترك لدى شعراء الاقطار العربية المختلفة ، الممتدة من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلنطي . ان النضال في سبيل التحرر الوطني وضد القوى الرجعية المظلمة ، وضد الحرب ، ومن اجل الوحدة ومستقبل الشعب المشرق - ذلكم هو ما يلهب ويفعم بالقوة افضل سطور الشعراء العرب في قرنا هذا .

« ونقدم هنا نماذج من الشعر المعاصر لاربعة عشر قطرا عربيا . وبين مؤلفي المجموعة - اكبر اساتذة الشعر : امثال مؤسس الشعر العراقي الجديد معروف الرصافي ، والشاعر البارز والمناضل من اجل السلام محمد مهدي الجواهري ، وفضل شاعر غنائي في لبنان: سعيد عقل ، والاديب المصري البارز عبدالرحمن الخميسي ، والشاعر المغربي المشهور الشاعر الفيلسوف محمد عزيز العبابي ، واروع شاعر سوداني : محمد الفيتوري ، وكثيرون آخرون - من المحاربين القدماء في رحاب الشعر الى الفتى الشعراء سنا . والى جانب الانار التي حظيت بالقبول في العالم العربي ، فان القارئ يجد هنا اشعارا من اليمن ، وليبيا والعربية السعودية ، واليمن الجنوبية ، حيث يخطو الشعر الحديث خطواته الاولى . واختمت الاكاديمي غفوروف مقدمته قائلا : ان اشعار هذا الكتاب قد ابدعها ، بحب وحب ، باللغة الروسية ، شاعر منح ، موفقا ، قواه الابداعية للقضية النبيلة لترجمة شعر الشرق » .

ومع ان الكتاب يفي بالمهام المطلوبة من كتاب يصدر بطبعة شعبية ، باللغة الروسية ، عن الشعر العربي الحديث ، الا انه يعاني من نقائص جمة . فقد اقحم شعراء لا يمكن وصفهم بالشعراء الحديثين ، وهم في افضل الاحوال شعراء نيوكلاسيكيون . كما اغفل شعراء حديثون مرموقون ، لا يمكن تخطيهم في اي ديوان او مجموعة للشعر العربي الحديث ، سواء صدرت بلغة الضاد ، او ترجمت الى لغات العالم الحية ، ومن هؤلاء الشعراء المرحوم بدر السياب ، وادونيس وسعدي يوسف ، ونزار قباني ، و خليل حاوي ، ونازك الملائكة ، وصلاح عبد الصبور ، ورضوان الشهال ، ووصفي البني ، وبلند الحيدري ، ومحمود درويش ، وسميح القاسم ، وتوفيق زياد ، وملك عبد العزيز ، ومحمد عفيفي مطر ، وحسب الشيخ جعفر ، ومحمد سعيد الصكار ، وعلي كنعان ، والبصري ، وابو سنه ، ورشيد ياسين ، ورشدي المامل ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، وصلاح نيازي ، والخوري وغيرهم . ان هذه القافلة الرائعة لهذه الاسماء الجيدة في العالم الشعري العربي المعاصر ، لا يمكن ان تغفل بحال ، وهي جديرة جدا بالترجمة الى لغة الاصداقاء . ففي شعر هذا الرعيل يمثل قصب العرب واملهم بصورة لا تقل توفيقا واصالة وتفردا ونضجا وروعة عما يمكنه شعراء المجموعة المقدمة الى القارئ الروسي . والامل ان المترجم ، او الجهة التي اشرفت ، وارتأت اصلا اصدار مثل هذا الكتاب ، ستتلافى مثل هذه النقائص في طبعات قادمة ، او تصدر كتبا جديدة على الاقل لترجم هؤلاء الشعراء ، كي يتكامل ديوان الشعر العربي الحديث ، وكي تتاح للقارئ الذي يعرف اللغة الروسية في رحاب الاتحاد السوفيتي الواسعة (حيث اللغة الروسية معروفة جدا) وفي المعسكر الاشتراكي (حيث يعرف الكثيرون اللغة الروسية) ، صورة

صادقة ، وافية للشعر العربي الحديث ، في الظروف المعاصرة .

★

ونمة كتاب شعري مستقل آخر من الشعر العربي الحديث ،
قد نرجم الى اللغة الروسية ، نعني به الكتاب الموعود المنتظر منذ
امد طويل للشاعر الفلسطيني معين بسيسو ، وقد صدر في مكتبة
(أغونيوك) التي اصدرت الكتاب الذي تحدثنا عنه آنفا ، وكان هو
كتابها الرابع لعام ١٩٧٠ . ان عنوان مجموعة بسيسو الشعرية هذه
كما ظهرت باللغة الروسية هو «الوطن في القلب» - وهو ترجمة
لمعظم قصائد ديوان الشاعر الذي صدر بعنوان «فلسطين في القلب»
عن دار الآداب . وجاء في المقدمة : (ولد الشاعر الفلسطيني المعاصر
معين بسيسو عام ١٩٢٨ . وقد اعيد طبع كتاب اشعاره الاول
(رسائل) (١٩٥٢) ست مرات . وقد اتت لعين بسيسو بشعبية
واسعة في العالم الشعري العربي مجموعاته «الأردن على الصليب»
و«فلسطين في القلب» و«الاشجار تموت واقفة» .

ان معين بسيسو شاعر الموضوع الوطنية الكبيرة ، المناضل
في سبيل الحقوق العادلة لشعبه ، هو مناضل نشيط في الحركة
العالمية لكتاب افطار اسيا وافريقيا . وفي عام ١٩٦٨ زار هو
الاتحاد السوفييتي ، وكان مندوبا الى ندوة طاشقند الادبية للقارات
الخمس .

وقد نشرت اشعار معين بسيسو في الاتحاد السوفييتي في
المجموعة الشعرية المعنونة «انا نعيس في كوكب واحد» وفي مجلة
(«آسيا وافريقيا اليوم» . ان «الوطن في القلب» - هو الكتاب الاول
للشاعر ، الذي ينشر في ترجمة مستقلة باللغة الروسية» .

والمترجم هو ذات المترجم الذي نرجم مجموعة «الغضب والامل» ،
نعني به الشاعر ميخائيل كورغانستيف . ويضم الكتاب (الذي نسّم
توزيعه بمائة ألف نسخة ايضا) قصائد لبسيسو جديدة ، نظها في
الاتحاد السوفييتي ، وخصوصا في لننغراد ، ومن هذه القصائد
(«تانيا») («المهداة لتانيا سافيجيفا وجميع الاطفال اللننغراديين الذين
عرفوا ما هو الحصار») و«اغنية لأوركسترا المنوعات ...» وغيرها .

وكم كان مفيدا للقارئ باللغة الروسية لو سنعف الكتاب بمقدمة
تحكي حكاية فلسطين ، وطن الشاعر ، وحكاية الشعر الفلسطيني
المعاصر وشعرائه الآخرين : درويش والقاسم وزباد وجبران وغيرهم .
لكن المجموعة مقنضية (رغم ان القصائد وافرة ، فعددها ٢٨ قصيدة) ،
والطبقة شعبية ، وعدد الصفحات لا يتجاوز ٢٢ صفحة . وربما يكون
من غير المنطقي ان نطلب من طبعة شعبية ، بمثل هذا الحجم ، ما
نطلبه من طبعة اخرى تقدم الشعر الفلسطيني وشعرائه ، على نحو
مستقل ، وبحجم واسع ، الى القارئ باللغة الروسية ، الذي بدأ
يهتم اوسع الاهتمام بكل ما له صلة بفلسطين والعالم العربي ، خصوصا
بعد حرب حزيران ونضالات الفدائيين .

لعل دار نشر اليرافدا التي اصدرت هذا الكتاب الصغير لشاعر
فلسطيني مشهور هو بسيسو ، ستوسع في تعريفها القارئ باللغة
الروسية بكنوز الشعر الفلسطيني الحديث ، فتقدم ترجمات يكتب
مستقلة اخرى لشعراء مشهورين آخرين مثل درويش والقاسم وزباد
وجبران ، خصوصا وان درويش والقاسم لهما من الرصيد الشعري
ذخيرة كافية لاجابة متطلبات اي اختيار ومختارات ، كما ان درويش
قد حاز جائزة «اللوتس» لكتاب آسيا وافريقيا ، ونشرت مجلته
(أغونيوك) في عددها السابع والثلاثين صورته وتعرفانه بين صصور
الحائزين الاخرين على الجائزة وهم توخواي (فيتنام) ، وآغوستينو نينو
(انفولا) ، والكسي لاغوما (جنوب افريقيا) ، وخاريفانشاري بانثسان
(الهند) ، وزولفيه التساعرة السوفييتية من اوزبكستان ، كبرى
جمهوريات آسيا الوسطى السوفييتية .

والحق ان هيئه تحرير «الادب الشرقي» في معهد الاستشراق
النابع لأكاديمية العلوم السوفييتية بموسكو ، مدعوة هي الاخرى ،

للإهتمام بالادب العربي الحديث ، وترجمة مختارات منه للغارم
باللغة الروسية ، والى لغات شعوب الاتحاد السوفييتي ، كما ينبغي
عليها ان تقدم مختارات للشعر الفلسطيني المعاصر ، اجابة لتساؤلات
القراء السوفييت عن الادب الفلسطيني ، وتظميها لمتطلبات التعريف
بالادب النضالي العربي والافرو اسويي التحرري التقدمي .

- ٣ -

وصدر حديثا عن دار نشر «الكتاب» ، وفي سلسلة «ادباء الاقطار
الاجنبية» ، التي تصدرها مكتبة الدولة للادب الاجنبي في موسكو ،
دليل مرجعي عن الادب الرائد ، توفيق الحكيم ، احد عمالقة النثر
العربي المعاصرين . ويعتبر الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف ادريس
ونعيمه وطه حسين والزهاوي والرصافي والبياني من بين اكثر الادباء
العرب شعبية بين القراء السوفييت ، وهم معروفون تماما لدى
جمهرة الاختصاصيين الواسعة بالادب العربي واللغات السامية عموما .
فقد ترجم لهم وكتب عنهم وفيهم العديد من الكتب والدراسات والمقالات
والاطروحات والاعمال الادبية والعلمية المختلفة .

ويقع الكتاب في ٧٢ صفحة ويضم كلمة لمصنف الكتاب ، ثم مقدمة
ضافية بقلم احد الدارسين السوفييت المشهورين لتوفيق الحكيم
وهولك يونوسف ، ثم بيانا بالتواريخ الرئيسية الهامة في حياة وابداع
توفيق الحكيم . ويقع هذا القسم الافتتاحي في ٢٤ صفحة . اما بقية
الصفحات فمرصودة لدليل المراجع عن توفيق الحكيم ، ودليل كتب
توفيق الحكيم وطبعاتها المختلفة وترجماتها الى اللغات الاجنبية ، مما
يسر للمصنف الاطلاع به .

- ٤ -

واصدرت مجلة «الادب الاجنبي» عددا يكاد يكون خاصا بالحائزين
على جائزة «اللوتس» (لكتاب فارتني اسيا وافريقيا) ، وهو العدد العاشر
(اكتوبر - تشرين الاول ١٩٧٠) . وتصدر العدد شعار المؤلف الرابع
لكتاب اسيا وافريقيا . وسارع فنقول بان مجلة اسيا وافريقيا
اليوم « التي تصدر عن معهد الاستشراق بموسكو قد كرست بابا
خاصا للحائزين على جائزة اللوتس ، وافاضت في الحديث عن محمود
درويش .

اما مجلة «الادب الاجنبي» التي اشرفنا عليها فقد نشرت اشعارا
لمحمود درويش الذي وصفته بانه «شاعر عربي من اسرائيل» وقصة
ليوسف السباعي بعنوان «جزيرة الخلاص» وقصة لسهييل ادريس
بعنوان «العراء» وقد ترجمها الكسندر ايفانكو واي . تيموفييما .
اما قصة السباعي فقد ترجمها ت. بالترمانتس ، واما اشعار درويش
فقد ترجمها الشاعر الجورجي غيورغي آشكينادزه .

وفي هذا العدد بالذات من المجلة كرست عشر صفحات للحديث
عن الشاعر العربي المشهور ابي العلاء المعري ، ولترجمة ٩٥ بيتا من
الشعر له ، الى اللغة الروسية ، لأول مرة . وقد كتب المقدمة وترجم
الشعر ارسين ناركوفسكي . والترجمة جيدة وأمينة .

وفي ذات العدد (العاشر - تشرين الاول (اكتوبر) مجلة «الادب
الاجنبي») نقرأ في باب (بين الكتب) نقاريظ لادباء سوفييت مرموقين
كتبوها بحق مجموعات شعرية مترجمة الى اللغة الروسية ، وهي
مجموعة «الوطن في القلب» لعين بسيسو (التي تحدثنا عنها) ، وقد
كتب التقييم الشاعر السوفييتي المشهور ، والمعروف في البلدان
العربية نيسين نوليف (الذي سبق ان زار لبنان وسواه في
احتفالات اكتوبر وغيرها) . اما المجموعة الثانية فقد نشرت تحت
عنوان «شعراء جع الشباب» ، و«الترجمة ل. غ. لبيديف (دار نشر
الحرس الفتني») في ١٢٢ صفحة) . وكان التقييم هنا هو اي .
بونشكاريفا . واما المجموعة الثالثة التي تتحدث عنها س. بروجونيما ،
فقد صدرت باللغة الفرنسية في باريس ، وهي تتحدث عن «الغضب
وأمل» شعراء المغرب العربي (تونس والجزائر ومراكش) .

يتحدث قيسين قوليف في كلمته تحت عنوان «مع الوطن في

«القلب» من شخصية الشاعر العربي الفلسطيني معين بسيسو ، وعن شاعريته ، وعن ابداع المترجم الى اللغة الروسية - الشاعر م. كورغانستيف . ويصف صدور الكتاب بأنه مدعاة سرور الكثيرين من محبي الشعر العربي : (واذا كان يستحوز علينا حلم وحيد - وهو ان تطالع عيوننا كتاب معين بسيسو مترجما الى اللغة الروسية . وما هو الكتاب اليوم ، ولسروري البالغ ، وسرور الكثيرين ، يمثل امامي - ها عيناى تتصفحان مجموعة اشعار الشاعر العربي ، الصادرة بمائة الف نسخة) .

وبالنسبة الى توليف فانه حتى التسمية «الوطن في القلب» تبهجه تمام الابهاج ، فهو يعتبرها خلاصة بالغة الدقة للعناصر الرئيسية في شعر بسيسو . ويثني توليف بسيسو في مواضع عديدة فسى كلمته ، واصفا اياه بشاعر الصلابة والسمود ، والشاعر الاصيل الذي لا يقلد سواه ، وصاحب الاشعار العميقة المحتوى ، والدقيقة، والنضرة ، والعميقة الشعرية ، والتصوير ، والبالغة البساطة .

اما اي. بوتشكاريفا فتتحدث في كلمتها عن الشعراء الشباب ل جمع (المجموعة الصادرة باللغة الروسية في ترجمة غ. ليبيديف ، والتي اشرفنا عليها آنفا) ، تتحدث عن صلاح جاهين ، ومجاهد عبد المنعم مجاهد ، ونجيب سرور ، ومحمد عادل سليمان ، ومأمون الشناوي ، ومحمد ابو سنه وغيرهم (الحجم هنا اسم الشاعر صالح جودت ، الذي لا اظنه نفسه يوافق على ان يكون من الشعراء الشباب، فهو سنا ليس بالشباب ، واتجاهها شعريا «عدو») كما يسميه الكثيرون للشعر الجديد وشعر الشباب) . وكاتبة التقييم على حق حين تقول في خاتمة كلمتها : «ان الكتاب ، الذي تحدث في مائة صفحة من صفحاته عن حوالي العشرين شاعرا ، لا يستطيع الا ان يقدم فكرة عامة عن هؤلاء الشعراء» .

واما المرة الثالثة التي جرى فيها الحديث ، في باب «بين الكتب» في مجلة «الادب الاجنبي» (ذات العدد المشار اليه) ، فهي الكلمة الطويلة التي تحدثت فيها س. بروجوفينا عن اشعار شعراء مغاربة وتونسيين وجزائريين صدرت باللغة الفرنسية في باريس .

اما العدد الحادى عشر من مجلة «الادب الاجنبي» فقد تحدث عن بترارك في باب (التراث الادبي) وهو الذي برصد ، وتقديم للقراء باللغة الروسية ، عيون التراث الادبي العالمى . وقد جرى الحديث في العدد العاشر (الذى اشرفنا عليه آنفا) عن ابي العلاء المعري . كما اشار العدد اشارة غنية دالة الى الاعداد الخاصة من المجالات العربية الصادرة بمناسبة اليوبيل المئوي للنين ، والى مناسبات تكريم وفاة المستغرب الاسبانى بالاسيوس صاحب الدراسات المشهورة («دانتي والاسلام») وعن «ابن حزم» و«محي الدين بن عربي» والتأثيرات الفلسفية الاسلامية في «الكوميديا الالهية» .

وبضم العدد الخامس من مجلة «شعوب آسيا وافريقيا» (التي يصدرها كل شهر من معهد الاستشراق التابع لأكاديمية علوم الاتحاد السوفيتى بموسكو) ، مقالة قيمة ل. اي. يا. حميدوف ، العالمم الأذربيجاني المعروف ، عن كتابي ابن قتيبة «الشعر والشعراء» و«عيون الاخبار» . وسنحاول ترجمة المقالة وتقديمها لقراء الاداب في مناسبة تالية ، وذلك لاهمية المقالة من جهة ، ومن جهة اخرى لانها تعكس بامانة وجهة النظر الماركسية - اللينينية في هذا الادب العربي الذى ظلمه غير قليل من الدارسين العرب المحدثين . وفي رأي كاتب المقالة ان ابن قتيبة قد قدم اضافة قيمة الى النظرية الشعرية ليس العربية فقط بل والشرقية ايضا ، وقد اتى بجديد كثير ، في زمانه .

فاذا انتقلنا الى الجمهوريات المتحدة ، فاننا سنجد كثيرا من الكتب العربية قد ترجمت الى اللغات القومية فى هذه الجمهوريات، ومنها مثلا ولا حصرا جمهوريات اسيا الوسطى وكازاخستان وقرغيزيا

وتاتاريا وبشكيريا واذربيجان ، كما منها ارمينيا وجورجيا ، واوكرانيا. ولنتحدث عن ارمينيا كمثال ليس الا فقد صدرت في ارمينيا عدة كتب تعرف القارئ الارمني بشعراء العرب ومنها كتاب «شعراء آسيا وافريقيا» (الذي جرى فيه الحديث عن شوقي ومطران وحافظ ابراهيم والجواهري والبياتي والرصافي ورضوان الشهبال ووصفي قرنفلى وسواهم) . كما صدرت كتب عديدة تترجم القصص العربية ومنها كتاب «قصص مصرية» (للشراقوي والخميسي والعران ، ومحمود بدوي وبننت الشاطيء ويوسف ادريس وسواهم) . الامر لا يقتصر على الادب العربي في مصر ، فثمة كتاب «مجموعة قصص مربية» يقدم قصصا (لسعيد حورانيه ، وعادل ابو شنب ، وسميرة عزام ، وعبد الله الطوخي ، وابراهيم عبد الحليم ، وكمال مرسي وغيرهم) .

ولعل كتاب «جبران خليل جبران» المترجم الى اللغة الارمنية (عن الكتاب الاصل - الصادر بالعربية في بيروت عام ١٩٦٦) هو ذروة اعمال مستعربي ارمينيا . فالترجمة امينة بشهادة دارس جبران ، المستطير الصيت ، والمعروف جدا في الاتحاد السوفيتي : ميخائيل نعيمة . يقول نعيمة في رسالته للمترجم (وهي المنشورة في كلمة ساراجيان ، التي نقلنا هذه الابناء عنها) : «يجدر بي ان افتخر بترجمتك «اللبني» شعرا منظوما . انه عمل فريد من نوعه في جميع اللغات الحية التي ترجم الكتاب لها . وكم يسعدني انك تمكنت من نقل جميع الافكار والمعاني والمشاعر والاحاسيس واللمسات والدقائق والصور الى ذهن القارئ الارمني» .

★

وما دام الحديث يجري عن الجمهوريات السوفيتية المتحدة ، فلا بأس من الاشارة الى حقائق واحداث ثقافية رصدتها عام ١٩٧٠، ومنها الترجمات الدائبة في اوزبكستان واذربيجان وقازان (عاصمة تاتاريا) للشعراء والقصص العربية الحديثة ، ومنها نشر مقالات لكتاب عرب في مجلات الجمهوريات المتحدة (مثل المقالة عن «واقعية ايتماوف») الكاتب القرغيزي السوفيتي المشهور ، الحائز على جائزة لينين وجائزة الدولة ، عضو لجنة التحكيم في جوائز اللوتس ، ولجنة السوفيتية لادباء آسيا وافريقيا - لكتاب السطور ، والمقالات عن الرومانسية والرومانسية العربية والرواية العربية في مجلة «نجم الشرق» في اوزبكستان و«الاذربيجان الادبية» و«جورجيا الادبية» و«ارمينيا الادبية» . كما دفع كتاب السطور بمقالات عن الاشتراكية فسى الادب العربي الحديث ، وعن مفهوم الرومانسية لدى النقاد العرب، واتجاهات النقد العربي الحديث لمجلات مثل (قضايا الادب) و«قضايا الفلسفة» و«موسكو» - الصادرة في موسكو .

★

على ان افضل عمل في باب المبادلات الثقافية ، والاهتمام والتجاوب مع النضال العربي التحرري ، والكفاح ضد الاحتلال الاسرائيلي الصهيوني الامبريالي الفاشم هو صدور كتب قيمة جدا ، باللغة الروسية ، عن النضال العربي والمقاومة العربية ضد الاحتلال. واشير ، مثلا ولا حصرا ، الى كتاب «الجيش والسياسة في اقطار آسيا وافريقيا» للبروفسور غ. ميريسكي وكتاب «نخيل تحت شواظ النار» ل. ف. نيكولايف ، الصادر في مكتبة «اغونيوك» الادبية بمائة الف نسخة . هذا وناهيك عن الكتب التي صدرت في الاونة الاخيرة للبروفسور ر. لاندا بعنوان «فن عرب اسيا» و«عن عرب افريقيا» .

ولعل افضل ما كتب عن الجبهة العربية (خصوصا في جمع) هو ما كتبه سرغي باروزدين ، الاديب السوفيتي البارز ، ورئيس تحرير مجلة «صدقة الشعوب» الصادر بموسكو . وقد استمرت كتابات باروزدين حلقات عديدة في جريدة البرافيا ، كبرى الجرائد السوفيتية ، وجريدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي . والحق ان باروزدين ونيكولايف ، يكمل احدهما الاخر ، فيما كتبا عن الجبهة والمؤخرة في جمع ، ونضال الشعب العربي في مصر ،



وقبل الانتقال الى نشاطات (دار التقدم) في الترجمة الى اللغة العربية ، لا بد من الاشارة السريعة الى نشاطات جريدة انباء موسكو (التي حظيت بزميلة فنية هي مجلة «القوات المسلحة» الصادرة باللغة العربية بموسكو ، عن وزارة الدفاع السوفيتية) .

ان جريدة «انباء موسكو» - جريدة اتحاد جمعيات الصداقة السوفيتية - العربية ، لا زالت ، في رأينا ، دون المستوى المفروض ان تصله جريدة الصداقة السوفيتية - العربية . ومع ان الجريدة تستعين بمرجمين ومرحدين عرب مرموقين ، الا ان مستوى ما ينشر فيها من مقالات ومواد هو على وجه العموم دون ما هو منتظر ومتوقع . ان الذي يتصفح مجلة سوفيتية مثل مجلة (قضايا الادب) و(قضايا الفلسفة) و(صداقة الشعوب) و(العالم الجديد) و(موسكو) و(نجمه الشرق) ثم يتصفح جريدة «انباء موسكو» الاسبوعية يصاب بالدهشة للمستوى والحال التي هي عليه مواد الجريدة . وقد يتهنأنا متهم بالتعامل ، لكننا نقول : حسبنا ان نشير الى جرائد اسبوعية تصدر في موسكو مثل «الجريدة الادبية» و(روسيا الادبية) و«الاسبوع» وسواها - فماذا سنجد ؟ سنجد ان جريدة «انباء موسكو» للاسف تتخلف عن كل زميلاتها سواء الاسبوعية او الشهرية .

ان الامر لا يقتصر على نشر قصة او ترجمة شعرية ، او الاشارة الى استقبال هذا الضيف العربي او ذلك ، او توديع هذا الفنان او ذلك ، انما الامر ينبغي ان يدور ، اساسا ، عن الاسلوب : اسلوب نشر المادة ، واسلوب التحرير ذاته . وفي اعتقادي - وقد اكسون مخطئا ، لكنه خطأ المخلص الذي يطلب الكثير ، والذي يريد التطور ارفع فارفع - ان الجريدة متخلفة حتى عن مستوى المهام التي وضعتها امام نفسها في عددها الاول . والانطباع الذي يحصل من قراءتها انها معدة لشعوب متخلفة - وهذا امر غريب غير متوقع . فالترجمون والمحررون جادون رصينون ولا يخجلون بالمطاء - ولعل الذنب ذنب من يقدم المادة ويعد الجريدة - بهذا الشكل - للنشر . وكل الامل ان الجهود المبذولة باخلاص ، ومتطلبات الصداقة العربية - السوفيتية ذاتها التي ترتفع الى مستوى التحالف في المعركة الواحدة المشتركة ضد الامبريالية والصهيونية ، وحاجات القراء العرب الثقافية والفكرية - ان كل هذا ، اذا شفع بالرغبة المخلصة من جانب الادارة في تقديم مجلة اسبوعية (وليست جريدة) حافلة بكل ما هو فني وعميق في الفكرة والاداء والمطاء ، سيمكن من بلوغ المستوى المطلوب في لسان حال - واشدد على هذا الوصف - جمعيات الصداقة السوفيتية - العربية .

فبالامكان تخصيص باب للاستعراض السوفيتي ، كما بالامكان التحدث عن الاسطاطيق ونظرية الادب ونظرية الفن السوفيتية وانجازات الفلاسفة ونظريتي الادب والفن السوفيت ، ناهيك عن تقديم روايات وقصص طويلة (بحلقات) او في ملحقات كاملة منتظمة الصدور . وينبغي كذلك التوسع في الحديث عن الجمهوريات المتحدة ، وفي اللقاءات مع كتاب سوفيت باتوا معروفين لدى القراء العرب ، وهم معروفون منذ امد في العالم اجمع ، مثل شولوخوف ، وآيتاموف ، وكيشوكوف ، وفتوشنكو ، وفوزنيسنكي ورسول هزاتوف واحمد خان ابو بكر وغيرهم . ومن اللازم ايضا التوسع في ابواب الفن والثقافة والنشاطات الثقافية - ولا اجد خيرا من الفن والادب والنشاطات الثقافية في اداء وابلاغ رسالة الصداقة والتعارف والتعاون بين الشعوب . ان فلما مثل «الجريمة والعقاب» و«جاكوفسكي» و«حفلات فرقة موسييف ، وفرق «داغستان» و«جوفاش والجركس» وسواهم ، ونشاطات السيرك السوفيتي ... ان كل هذا ينبغي ان يطلع عليه القارئ العربي اولا باول ، اذا اريد حقا ابلاغ واداء رسالة الصداقة ، في حقل الفن والثقافة ، على خير ما يكون .

ولدي اعتقاد بان «انباء موسكو» ستخرج من هذه القوقعة التي فرضتها على نفسها - وكما لو انها جريدة حائطية - ، فتطلع الى العالم الفسيح - عالم الصداقة مع وطن عربي يمد في قارتين ، ويفوق سكانه المائة مليون نسمة - بما تستحقه رسالة الصداقة ، والتعريف ، والتعاون ، والثقافة على كل صعيد ، وفي كل مجال .



تفني دار التقدم في موسكو المكتبة العربية بقطوف وافية من الثقافة السوفيتية المعاصرة ، وكذلك من روائع كلاسيكية الادب الروسي وسواها ما قبل اكتوبر . وتمتلىء رفوف المكتبات العربية من عام لآخر بالعديد من الكتب التي تقدمها الدار الى قرائها العرب ، مترجمة باقلام مترجمين عرب ضليعين في الترجمة ، عارفين باللغة الروسية معرفة المترجم المتمد الامين ، يعاونهم محررون نشيطون في اختصاصهم ، مستعربون اثناء لمدرسة الاستعراب السوفيتية .

واذا تتبعنا نشاطات هذه الدار لعدة اعوام ، فسنعدها قد قدمت بتفان ، في حقول عديدة من المعرفة والثقافة ، بما تستطيع وبما تيسر لها ، ترجمات رائعة لاعمال غوغول وليرمنتوف وبوشكين ، وغوركي وشولوخوف وآيتاموف والعديد من الكتاب السوفيتية المعاصرين في شتى جمهوريات الاتحاد السوفيتي . ولدى الدار محاولة في الترجمة الشعرية - وهو امر كان على الدار ان تنتبه له منذ امد بعيد ، فتسد هذا النقص ، وتلبي هذه الحاجة الماسية لدى القراء العرب للتعرف على روائع شعر اكتوبر وما قبله - فقد علمت ان كتبها في الشعر سيعهد بترجمتها الى شعراء عرب معروفين ، موجودين في موسكو اما للدراسة او للعمل او لكلا الطرفين . فمثلا قام الشاعر السوداني المرموق جبلي عبد الرحمن بترجمة شعرية لبعض دواوين ومجاميع الاشعار ، مثل اشعار (آباني) ، الشاعر القازاخي المشهور ، وسواها .

ولا تغفل الدار الكتاب الذين احتفل بيوبيلهم المئوي او الخمس والسبعيني في هذا العام ، ومنهم ايفان بوفني (مرور مائة عام على ولادته) والكسندر كوبرين (مرور مائة عام على ولادته كذلك) ، وسرجي يسيني (٧٥ عاما) وادوارد باغرينسكي (٧٥ عاما) وسواهم . فقد علمت ان الدار ستقوم بترجمة قصص لبونين وكوبرين ، مجموعة في كتاب واحد ، او منفصلة . والحق ان القارئ العربي يتوق ، منذ زمن طويل ، للتعرف على روائع قصص بونين وكوبرين ، اللذين اغنيا الادب الروسي والعالمي باعمال اصيلة متفردة تشهد بمعبرتهما القصصية .



ويشهد كاتالوج الكتب التي ستشرها الدار في عام ١٩٧١ على سعة وتنوع الحقول التي تعمل فيها . فهي ستقدم مترجمات تمتد ما بين مؤلفات لبنين العميقة والفنية بالتحليل العلمي الفذ والكتيب التدريسية في اللغة الروسية . وفي جعبة الدار ، في هذا المنطلق الواسع مترجمات في سلسلة «مكتبة الاشتراكية العلمية» وفسى سلسلة المؤلفات الاجتماعية - السياسية ، وسلسلة المؤلفات السياسية الشعبية ، وكذلك في السلسلة الادبية التي تواليها الدار منذ زمن ، وسلسلة «كتب للاطفال والاحداث» .

ومن بين مؤلفات لبنين سيطلع القارئ العربي مجموعة مقالات لبنين بعنوان «حول كومونة باريس» ، ومقالته الشهيرة «رسالة الى العمال الاميركيين» وكذلك الكتاب الذي يحمل عنوان «الكارثة المحدقة وكيف نعالجها» . ويتحدث الكتاب الاول عن العبر التي ينبغي ان تستخلص من تجربة تشكيل اول دولة للعمال في العالم ، والمقصود بها كومونة عمال باريس في القرن التاسع عشر . اما رسالة لبنين الى عمال اميركا فتتحدث عن النظام الاجتماعي السوفيتي الوليد وتوضح وتدين الامبريالية الامريكية التي قامت بالتدخل المسلح ضد الجمهورية السوفيتية الفتية . اما كتاب لبنين عن الكارثة فيفيض في

بسبب اسباب الوضع الاقتصادي العسير الذي تخبطت فيه روسيا ، ويشير الى ان الطريق الوحيد للخلاص هو الثورة الاشتراكية .

ولا يقتصر كتب لنين على هذه السلسلة فقط ، فهي تجد لنفسها مكانا في سلسلة «مكتبة الاشتراكية العلمية» . فالى جانب كتاب ماركس وانجلز (في الاستعمار) ، وستقدم الدار عملا للنين مشتركا مع ماركس وانجلز في مجموعة «حول المجتمع الشيوعي» ، كما ستقدم كتبا مفردة مستقلة للنين تحت عناوين «ضد التحريفية ، دفاعا عن الماركسية» و«عن الامبريالية والامبرياليين» و«في الاممية البروليتارية» . ويتحدث كتاب لنين في التحريفية عن سائر صنوف الانتهازية والجمود العقائدي وفيه يقرر لنين حقيقة اكد صوابها التاريخ وعصرنا هذا على وجه الخصوص ، وذلك حين يقول : «من دياكتيك التاريخ ان انتصار الماركسية النظري يجبر اعداءها على ارتداء لباس الماركسية . ان الليبرالية المتفتنة داخليا تحاول ان نعش نفسها بصورة الانتهازية الاشتراكية» .

وبالامكان ملاحظة الاهتمام الفائق الذي توليه الدار لنشر اعمال لنين ، ويفسر ذلك بحلول العام اليوبيل المئوي لميلاده (١٩٧٠) وهو الذي احتفل به الاتحاد السوفيتي والمسكر الاشتراكي والبشيرية التقدمية فاطمة ، كما يفسر بان اعمال لنين هي المحور والبوصلة التي يهتدي بها بناء المجتمع السوفيتي المعاصر ، والاشتراكيون فسي العالم اجمع .

فاذا جئنا الى سلسلة المؤلفات الاجتماعية - السياسية ، فاننا سنجد الدار تعد بتقديم كتاب ضخيم بعنوان «الدولة السوفيتية - الاقتصاد (كما يسميها الكاتالوج) فتقدم كتابا بعنوان «اسس تنظيم الانتاج الزراعي في الاتحاد السوفيتي» ، الى جانب الكتاب الموسوم «اسس تنظيم المالية العامة والتسليف في الاتحاد السوفيتي» وكتاب «اسس تنظيم الصناعة والبناء في الاتحاد السوفيتي» لعروف وكتاب غوغول المعنون «اسس تنظيم التجارة الداخلية في الاتحاد السوفيتي» . على ان اصحح كتاب من ناحية الحجم ، والاهمية معا (في الكتب التي تبحث حياة الاتحاد السوفيتي المعاصرة) هو كتاب ييفاتوف وفيدوسوف المعنون «تاريخ الاتحاد السوفيتي» الذي يقع في ٥٩٢ صفحة .

ومن المؤلفات السياسية - الشعبية (كما يسميها الكاتالوج) ، سيكون بحوزة القارئ العربي كتاب مثل «اسس المعارف السياسية» . ويقول الكاتالوج عنه انه «يتضمن الحد الأدنى من المعارف السياسية الضرورية لكل فرد» . وقد وضعه فريق من العلماء والشخصيات الاجتماعية السوفيت البارزين .

كما ستقدم الدار كتاب كورينوف «الامبريالية الامريكية حصن الرجعية العالمية الرئيسي» . وكتاب معد لجميع القراء ، وفقفا لشهادة الكاتالوج . وميزه الهامة انه «يحلل السياسة الخارجية الحالية التي تنتهجها الولايات المتحدة الامريكية ، وبالاستناد الى مجموعة كبيرة من الوقائع ، غير المعروفة كثيرا في جملة مسن الاحوال» .

اما سلسلة «نمط الحياة السوفيتي» فتعد بتقديم كتابين هاميين هما «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» و«الاركان العامة السوفيتية في اعوام الحرب» . وضع الكتاب الاول ليف من العلماء المرموقين مثل الاكاديمي رجبوف ، والدكتور في العلوم الاقتصادية انكليتشيف ، والاكاديمي فزيكولوف ، والشخصيات الاجتماعية البارزة مثل ب. رمضانوف ، و ل. عليمجانوف ، و ر. ايلداروف ، ورؤساء الادارات الدينية والطوائف الدينية الاسلامية (الفتي ضياء الدين باباخانوف ، والامام علي فرييف ، والامام محمد الليف ، والفتي خيال الدينوف ، والفتي قربانوف ، والفاضي قوليف) .

اما كتاب «الاركان العامة السوفيتية في اعوام الحرب» مؤلفه شتيهنكو ، فهو كتاب لا غنى عنه ، في رأيي ، لكل قارئ . ذلك ان مؤلفه عالم وقائد عسكري محنك ، فقد كان رئيسا لمصلحة تخطيط العمليات في الاركان العامة السوفيتية . ويتحدث المؤلف بصراحة عن المصاعب التي اضطرت القوات السوفيتية الى نذليها فسي مختلف مراحل هذه الحرب الفاسية التي لا سابق لابعادها . والكتاب غني جدا بالوثائق ، وكذلك بالصور التي كأنما تكمل الحديث عن المعارك العظيمة في سنوات ١٩٤١ - ١٩٤٥ .

ويحتل «الادب» حيزا محدودا ، اصغر مما نحتله الحفول الاخرى من الثقافة الاجتماعية - السياسية وسواها . وهنا سيطلع القارئ في سلسلة «مقاتلون في سبيل وطنهم السوفيتي» (وهي التي يمكن تسميتها ، في رأينا ، بصفحات من ادب المقاومة السوفيتي) ، على كتاب اغناتوف المعنون «الاخوان ايفناتوف» ، وعلى كتاب كاسيسل «خط المواصلات» ، وكتاب «كيف تنتهي الحروب» (قصص وذكريات المساهمين في الاحداث) . وجدير بالذكر انه قد صدرت في هذه السلسلة عدة كتب منها «قصة انسان حقيقي» لبوليفوي و «رفاق الطريق» لبانوف و«في خنادق ستالينجراد» و«ابطال قلعة بريست» .

فاما الكتاب الاول «الاخوان ايفناتوف» - والذي كان لي شرف ترجمته - يحكي قصة حرب الانصار في الكويان، في اقليم كراستودار، في القفقاس . والذي يحكي القصة - وهو المؤلف ايضا - هو اب لشابين بطلين استشهدا في معارك المقاومة ضد الفاشست فسي كراستودار . والاب نفسه كان قائد فصيل الانصار الذي فائل فيه ابناه . وقد منح ابناه الشهيدين لقب «بطل الاتحاد السوفيتي» ، وباسميهما اسمي العديد من المدارس والكنيات والشوارع والقطر والبواخر . وقد استشهد الابن الاصغر عن ستة عشر ربيعا ، وكان مثلا يحتذى في الصلابة والصمود واللوان البطولة الانسانية .

اما كتاب كاسيل «خط المواصلات» ، الحائز على جائزة الدولة ، فهو مكرس ايضا مثل سالفه للحرب الوطنية العظمى ضد الفاشية (الحرب العالمية الثانية) . وهو يحكي مثل سابقه ايضا قصة واقعية لجندي المواصلات الذي عض القابلو باسنانه ليجت خط المواصلات ، وعمال السكك الحديدية «الذين رافقوا تحت وابل القنابل عربة تنقل كتبا مدرسية الى المناطق المحررة من الفاشيين ، والاطفال الذين اشتركوا الى جانب الكبار في كفاح الشعب كله ضد العدو» .

ومن بين مؤلفي الكتاب الثالث «كيف تنتهي الحروب» مارشال الاتحاد السوفيتي ايفان كونيف ، القائد العسكري البارز ، احد المساهمين في عملية برلين ، والكاتب فيشيفسكي الذي حضر نوبع ونيقة استسلام المانيا الهتلرية ، والشاعر سوبوين المشارك في معركة الرايخشتاغ ، والمترجمة رجبفسكايا التي فيض لها ان نفتنح ملجأ هتلر تحت الارض . ويحكي الكتاب احداث الايام والساعات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية ، التي عاشها المشاركون في معركة برلين .

كما سيطلع القراء العرب في السلسلة الادبية الثانية التي بوالها الدار ، وهي التي تحمل اسم «مؤلفات كلاسيكي الادب الروسي» ، على رواية «دوبروفسكي» لبوشكين . وهي رواية رائعة نحدث عنها الناقد الروسي الشهير بيلينسكي ، في القرن التاسع عشر ، فقال يصور بوشكين نمط حياة النبلاء الروس القديم ، كما ينعكس في شخص ترويكوروف ، بفاية الكمال . ان رواية «دوبروفسكي» من اعظم تحف عبقرية بوشكين» . ومن الجدير بالذكر ان هذه الرواية قد اعدت للسينما ، وهي تعرض على شاشات دور السينما السوفيتية .

هذا كل ما تعد به الدار في حقل «الادب الفني» . وتسدد الدار النقص في حقل «ادب الاطفال» فتقدم كتابا

لغاغارين ((الفاتح الاول للكون)) بعنوان ((ارى الارض)) ، كما وتقدم
مجموعة قصص للاطفال عن لنين بعنوان ((النيران)) . وفي جعبة الدار،
في هذا الحقل ما كتب مثل ((حكايات من لتوانيسا)) و((باليست))
لتشوكوفسكي و((السيرك)) للارشال و((حكايات وصور)) لسوتيف .

★★★

ومن حصيلة الجولة التي قمنا بها والقارىء في رياض نمار
مختار دار التقدم الثقافية التي تم بها في عام ١٩٧١ ، ينشأ لدينا
انطباع لا مرد له ، يقول بان الدار تحاول ، فعلا ، وعلى نحو واقعي،
تلبية حاجات القارىء العربي الثقافية في الادبيات الانسانية ، على
ان نشاطها هنا محدود بالامكانيات المتيسرة لديها . ومن هذه الامكانيات:
امكانيات الطباعة وهي محدودة جدا فاسرة تحرير القمم العربي تشارك
جريدة ((انباء موسكو)) الاسبوعية في مطبعة واحدة محدودة الامكانيات
هي الاخرى) . ومن هذه الامكانيات ايضا ما رصد للقسم العربي
عموما ، وهو في رأبي لا يعني بمتطلبات توسع علائق الصداقة والتعاون
الثقافي والعلمي والتكنيكي والمبادلات الادبية والثقافية السوفياتية -
العربية . فكل العاملين في الترجمة الاحترافية في الدار لا يتعدون
السنة ، وتستعين الدار بترجمين غير محترفين . ولا بد من القول ان
هذا لا يمكن ان يسد بحال حاجات القراء العرب المتسعة باطراد ،
في الوطن العربي الكبير ، الواسع الاجزاء ، الرحب الامكانيات والافاق ،
والذي يقطنه اكثر من مائة مليون مواطن ، عرف عن جمهور القراء فهم
الشفق المنقطع النظير بالادب الواقعي الانساني العالي ، ومنه الادب
الروسي ، والسوفياتي المعاصر .

ومن الملاحظات التي سيلاحظها القارىء صفر حجم المنشور في
((الادب الفني)) نسبة الى ما ينشر في الحقول الاخرى في العلوم
الانسانية التي تختص بها الدار (بمقابلة ((العلوم الطبيعية)) التي
يختص بها دار نشر اخرى في موسكو هي دار ((مير)) . ان نشر
اربعة كتب في الادب الفني في مدى عام كامل لا يمكن ان يعتبر في
مستوى ما ينبغي ان يكون من نشر الادب السوفياتي باللغة العربية،
ومن تلبية حاجات القراء العرب الى هذا اللون من المعرفة ، كما لا
يمكن ان يكون بحال في مستوى الصداقة والتعاون العربي -
السوفياتي المتسع باطراد ، في تضاعف اتساع التحالف العريض بين
قوى الاشتراكية وقوى التحرر الوطني العربية وسواها ضد
الامبريالية والصهيونية .

على ان شيئا واحدا يظل بمثابة عزاء ، وهو ان الدار تسعى
لتوسيع ملاكاتها ، ومضاعفة نشاطها الثقافية في كل مجال ، وهو
امر يمكن ملاحظته وتتبعه في اعمال الدار من عام لعام . وسنظل ننظر
الى المستقبل بعين الثقة دون ان نغفد الحس النقدي البناء حريصين
قبل كل شيء على مصلحة القارىء العربي والصداقة العربية
السوفياتية على حد سواء .

جليل كمال الدين

موسكو

★★★

الولايات المتحدة

ماركوز واليسار الاميركي

اجرى مراسل ((الازبرفر)) اللندنية تشارلز فولبي حديثا طويلا
مع الاستاذ هيربرت ماركوز ، الفيلسوف الاميركي البالغ من العمر ٧٢
سنة الذي الهتمت رؤياه عن مجتمع متحرر الطلاب الثمردين في جميع
انحاء العالم الغربي . وقال المراسل ان ماركوز ليس بين الذين يعتقدون

ان الثورة وشبكة في الولايات المتحدة . فهو يخشى ان يكون الكبت
والقمع قد ازداد في ظل الرئيس نيكسون الى حد ان اميركا قد تكون
البلد الاول الذي تدخله الفاشية بواسطة التصويت الديمقراطي .

وقال المراسل ان ماركوز اعطاه هذا التحليل القاتم الاسبوع الماضي
في جامعة كاليفورنيا حيث قاوم لخمسة اعوام ، تحت الضغط المتزايد،
هجمات الجمعيات اليمينية المتطرفة وامناء الجامعة وحاكم ولاية
كاليفورنيا رونالد ريفان ، واخيرا نائب رئيس الجمهورية سبيرو
اغنيو . وتكاد المعركة ان تكون انتهت الان . فقد انهى تعيين الدكتور
ماركوز في الجامعة ، ولن يجدد هذا التعيين . ومع ان ماركوز حرم الان
من رتبته ومرتبته ومعظم تلاميذه ، فهو لا يتذمر من الجامعة ، التي يقول
انها وقفت الى جانبه ، ويأمل في ان الحرية من الروتين ستمطيه
فرصة للوصول الى جمهور اوسع بالكتب والمحاضرات .

ونسب المراسل الى ماركوز قوله : ((منذ ان تولى نيكسون الحكم
اصبح الاضطهاد في اميركا اسوأ بكثير . والفكرة القائلة ان جامعاتنا
يسيطر عليها اليسار هي دعاوة خبيثة . فالعكس هو الصحيح .
اسأل زملائي الذين كانوا نشيطين سياسيا بالطريقة ((الخطأ)) ان
حق التفكير والتعبير بحرية يتعرض للخطر اكثر من اي وقت مضى .
وبالنسبة لليسار اصبحت المسألة مسألة بقاء كحركة سياسية نشيطة .
وليست لدينا حالة ثورية . ولن تقوم هذه الحالة لوقت طويل)) .

وماذا بشأن اعمال اطلاق النار وتفجير القنابل في جميع انحاء
البلاد ؟ يقول المراسل ان ماركوز ، الذي يدافع عن اضطرابات الطلاب
بوصفها احتجاجا عميق الجذور ضد عار ((دولة الرفاه والحرب)) ،
يدعي ان الكثير من الاعمال المسندة الى اليساريين المتطرفين يقوم بها
في الواقع عملاء تسللوا الى صفوفهم : ((وعلى اية حال اعتبر هذا
النوع من العنف قاهر للذات . ويرحب به الذين يتوقون الى اجراءات
اقوى . وبالفعل انني ارى بداية ثورة مضادة وقائية من اليمين .
واليسار معشر)) . ويرفض ماركوز كذلك الحجج القائلة ان ((الاسوأ
افضل)) على امل ان يؤدي قيام دولة بوليسية الى اثار انتفاضة
جماهيرية . ويقول بحدثة ((هذا تفكير خطر جدا . فالنظام قوي الدعائم
ولديه كل الوسائل للقمع . وكما رأينا في اماكن اخرى ، فانه ما ان
تنجز الفاشية عملها ، حتى تصبح المعارضة معطمة)) .

((الحماسة النهائية))

ولاحظ المراسل ان طموح ماركوز هو ان يشجع قيام ((لقاء)) بين
الطلاب والطبقة العاملة : ((لا يستطيع الطلاب ان يفعلوا كل شيء دون
هذا الدعم الجماهيري ، وهم يعرفون ذلك . ولكن الجهود لتجنيد
الطاقة العاملة لم تنجح . فان قسما كبيرا من العمال يريدون انفسهم
بمواقف يمينية . وبعد تبنيهم لقيم الطبقة الوسطى ، وجدوا روجهم
في الاجور العالية واجهزة الهاي فاي والمنازل المريحة واقتناء السيارة
الثانية . ويرفضون المخاطرة بازدهارهم النسبي من اجل افكار مجردة
وطوبوية . ولكن هذا لا يجوز . فالانسانية لا توجد في الولايات
المتحدة وحدها . ولا نستطيع ان نياهي بتسامحنا الديموقراطي المزعوم
فيما نسلم البلدان الاخرى الى الدكتاتورية والحرب)) . والحركة
الطالبة فقد تبدأ في تثقيف الجماهير وابقائها الى الحقيقة - ان
القناعة بارضاء احتياجاتها الزائفة انما يحضرها للحماسة النهائية،
الحرب الذرية ، ولكن وقوع ضربة اقتصادية حادة قد تساعد على
تغيير نظرة الجماهير ، واننا منذ الان في ازمة اقتصادية كبرى من
نوع ما)) .

وقال ماركوز للمراسل كذلك : ((ان كل شيء ابتداء دائما بثورة
تقودها قبضة من رجال الفكر . والماركسية الروسية جامدة وماركسيته
انا مرنة . ولا بد من امتحان مفاهيمها دائما على الواقع)) .